حضرة رئيس وأعضاء مجلس أمناء الجامعة المحترمين،

حضرة رئيس الجامعة وأعضاء الهيئة التدريسية والعاملين فيها،

أحبائي الخريجات والخريجين وعائلاتهم المحترمين،

بكل إعتزازٍ وتواضع، يسعدني استمرارُ تواجدي بينكم في هذا الفضاءِ الجامعِ والمميزِ وفي جامعتي التي انتميتُ إليها ولا زلت، ويسعدني بشكلٍ خاص بالنيابةِ عن السيد الرئيس محمود عباس مشاركةُ أبنائنا الخريجين وأولياءَ أمورهم الاحتفالَ بتخريج الفوج الـ 43 من شاباتٍ وشبابٍ ينضحون بالطاقاتِ والطموحاتِ والآمال. فهذه اللحظةُ هي نتاجُ جهودٍ كبيرةٍ ساهمتم جميعاً في إنجازها- إدارةً وهيئَة تدريسٍ وعاملين- وبشكلٍ خاص الخريجين وأسره. كما نهنئ الزميلَ العزيز الاستاذ سمير عبد الهادي على نيله هذا التكريم والشهادة الفخرية، والذي تربطه علاقةٌ تكاملية مع جامعة بيرزيت، فهو يستحق لأنه مثلُها معطاءٌ وسخي.

في قريةٍ هادئةٍ وديعةٍ في بداياتِ القرنِ الماضي، لمعت ومضةٌ، وأصبحت فكرةً، وبلورت رؤيةً، وامتلكت إرادةً، وصاغت خطةً، وأفردت مساحةً، وصنعت واقعاً، وانطلقت.

وها نحنُ الآن نجتمعُ في قلب هذه الطاقة المتواصلة وانجازاتها، وامتداداً لانبعاثها، لأننا في فلسطين اعتدنا التدخلَ في الواقعِ لصياغته وتغييره وتطويره، وحوّلنا التجذرَ والأصالةَ إلى نقطةِ التقاءٍ للتفاعلِ مع المعاصرةِ والاستشراف، ولصنعِ مكانٍ لنا في عالمٍ متغير، على أسسٍ من الندّية والإنسانيةِ المشتركةِ والحضارةِ المتفاعلةِ والمعرفةِ المتنورةِ والقيمِ الأساسية.

هكذا بدأت جامعةُ بيرزيت بتواضع وإصرار في ذهنيةِ نساءٍ مبدعاتٍ جريئاتٍ وباستمراريةٍ أسرية من عائلة ناصر حتى يومنا هذا، قاومت فيها التخلفَ والجهلَ والاستعمارَ في آنٍ واحد، واستثمرت في الوطنِ والانسان، بإدراك مُبكراً منها بأن الوطنَ يعني بناءَ الانسان، وأن صنعَ المستقبل يكمنُ في تهيئةِ الأجيال وتسليحهم بالعلمِ باعتبارهم الثروةَ الحقيقيةَ للوطن وقيمتَه الجوهرية، والوسيلةَ والهدفَ لكل طموحٍ في التطورِ والإبداع، ولكي تكونَ فلسطين وتبقى، وتُجّسدَ حقوقَ وهويةَ شعبٍ مُعذّب اختار أن يحيى وأن لا يستكين.

وازدهرت الفكرةُ بفعل طاقةٍ كبيرةٍ من الوعي والتحدي والتقدم، فأخذت المبادراتِ من أجل تدخلٍ حيوي إيجابي لتجسيدِ وحمايةِ الهويةِ الوطنيةِ والممارسةِ الديمقراطيةِ المؤثرة، وهكذا تميزت بيرزيت بروحِ العطاءِ والتطوعِ وفي بلورةِ وصقلِ الطاقاتِ القيادية، وأُعتُبرت واحدةً من صفوةِ النماذجِ الوطنية والإنسانية والأكاديمية التي صمدت في وجهِ محاولات الإغلاقِ والإقصاءِ والإلغاءِ وحتى التدمير.

فالهويةُ ليست قضيةَ وطنٍ فحسب، بل ومواطنةٍ فاعلة، يتكاملُ فيها مفهومُ الوطنِ مع ممارسةِ المواطَنة المسؤولة، منسجماً مع بُعدِها الإنساني والحضاري والقيمّي، لتحدي مفهومِ الإحتكار

والوصاية والإستئثار، ولتفعيلِ مساءلةِ الذات وإجراءِ عمليةِ التصويب المتكاملة. ونحن عندما نتَّخِذُ من هذا النهجِ الإنسانيّ والثقافي وجهةً لنا، نمنحُ أنفسَنا المساحةَ اللازمة للابتكار، والشجاعةَ لخوض التجربة والاستكشاف، والانفتاحَ على أساليبَ جديدةٍ للتفكيرِ والعمل.

ولأننا لا نقبلُ بما هو مُتاح، وإنما نصبو إلى ما هو متمايز وطموح، أثبتتْ الجامعةُ مرةً تلو الأخرى قدرتَها على الثباتِ والانجازِ النوعي، والارتقاءِ إلى المستوياتِ العالميةِ المتميزة، فلم يأتِ تصنيفُ الـ QS هذه المرة أيضاً محضَ صدفةٍ وإنما لأن فلسطينَ وجامعاتِها تستحقُ البروز في السياق العالمي.

وفي هذه المرحلةِ العصيبةِ التي نمرُّ بها، ولم نمرّ يوماً في مرحلةٍ لم تكن مصيرية، ولكننا الآن وبشكل خاص، نشهدُ محاولاتٍ لاستكمالِ المشروع الصهيوني الأصولي-الإستعماري الإستيطاني- لاستبدال شعبٍ بآخر، وفرضِ "إسرائيل الكبرى" على فلسطين التاريخية مستندةً إلى شراكةٍ أمريكيةٍ عمياء تمنحُ المعتدي الحصانةَ والنفاذَ من العقاب والمساءلة، بينما تحرمُ الضحيةَ من الحمايةِ والتدخل البنّاء لتطبيق القانونِ وصونِ الحقوق.

ومع بروزِ ظواهرَ خطيرةٍ من الشعبويةِ والعنصريةِ واللاإسلامية والإزدراءِ التام بالقانون الدولي والانساني الدولي والنظام الكوني الذي أُقيمَ لنصرةِ الضعيفِ وردعِ الظلمِ عنه، ولاحترامِ التعدديةِ والتسامحِ ومبادئ الشراكةِ والإنسانية، ومع احتقارِ حقوقِ الانسان والمرأةِ بشكلٍ خاص، والاعتداءِ على البيئةِ ومقوماتِ الحياةِ الطبيعيةِ والبشرية، وفرضِ منطقِ القوةِ والهيمنةِ والفرديةِ والانعزالية- تواجهُ فلسطينُ هذه الأخطارَ مجتمعةً بينما ترزحُ تحت احتلالٍ إحلالي مستمرٍ ومتصاعد، من قبل إئتلافٍ إسرائيليٍ متطرف يستخدمُ العنفَ والعسكرةَ بلا حدود بينما يُغلفُها بأصوليةٍ دينيةٍ متطرفةٍ ومطلقة، مانحاً نفسَه صلاحياتٍ إلهية لاستعبادِ شعبٍ باكمله واستباحةِ كل مكوناتهِ ومقدراته.

وإقليمياً، نمرُّ في مرحلةٍ يتمُّ من خلالها إعادةُ تعريفِ العدوِ والصديق، وفرضُ استقطابٍ مصطنع، لإعادة موضعةِ دولةِ الاحتلال (إسرائيل) باعتبارها قوةً إقليميةً اقتصاديةً وأمنيةً/ عسكريةً/ استخباراتية، وحليفاً لبعض قوى المنطقة بحيثُ تنالُ الشرعيةَ والامتيازاتِ والتطبيعَ وصكَ الغفرانِ لكل جرائمها وخطاياها بحق فلسطين. كما يشهد عالمُنا العربي محاولاتٍ للتفكيكِ وإعادةِ صياغةٍ لتجريدِ قضيةِ فلسطين من محوريتها وكأنها أصبحت دخيلةً أو هامشيةً على الوعي الرسمي بينما ما زالت تشكلُ ضميرَ الشعوبِ الحية.

وضمن هذ الإطارِ كّلهِ، يتحدثون عن "الصفقة العظمى/الكبرى"، وكأن هذه الإدارةَ العدائية ستخرجُ علينا بخطةٍ للخلاص! فبعدَ أن شاركت الولاياتُ المتحدة إسرائيلَ العدوانَ على القدس واعترفت بها عاصمةً، ونقلت سفارتَها إليها، وبعد أن قامتْ بإلغاءِ حقوقِ اللاجئين وحجبتْ عنهم الدعمَ والحماية، وبعد أن تنكرت لحقِ فلسطين في تقرير المصير والسيادة على الأرض،

وحتى رفضت قبولنَا الأليم بحل الدولتين وحدود 1967، ونزعت اللاشرعية عن الاستيطان، وأسقطت مصطلحَ "الاحتلال" من قاموسها السياسي، وجنّدت (بل وابتزّت) العديدَ من القوى والدول لتقديم المكافآت المسبقة والحوافز الايجابية للاحتلال، بينما استخدمت التهديدَ والوعيدَ والإكراه في الضغط على فلسطين ومعاقبتها -بعد كل هذا- لا يمكن التعاطي مع هذا التشويه التاريخي الخطير وهذا التنكر الأهوج لأبسط متطلباتِ العدالةِ والسلم والأمنِ والاستقرار.

ولكي نواجهَ كلَ هذه التحديات، ونُنصفَ أنفسَنا وتاريخَنا ووعدَنا المستقبلي، علينا إعادةُ البوصلة لوجهتها الداخلية، وإنهاءُ الانقسام الهدّام، وتمكينُ شعبِنا، وحمايةُ حقوقهِ وحرياته، واحترامُ إرادته، وتطويرُ مؤسساته وبنيانهِ الوطني وممارساتهِ الديمقراطية الحقّة، وتوفيرُ كل مقومات المناعةِ والحصانة والقدرةِ على تجاوز المعيقات- بهدف إعادة تجميعِ الإرادة الحيّة التي تشكلُ الحافزَ والضمانة للصمودِ والاستمرارية، وقهرِ الصعاب.

هذه مسؤوليةُ كلِ فردٍ منا، ليس للاستكانةِ للواقع بل لاستفزازه والاشتباكِ معه، وإعادةِ صياغته، والتمردِ على ظلمه، وإطلاق طاقات الشباب الخلاّقة والمبدعة في التدخل والبناء وقيادة شعب نحو الخلاص والحرية.

وهنا يتجلّى دورُنا، (دور جيلنا)، فنحن نتحملُ مسؤوليةَ الوقوفِ إلى جانب الأجيال الشابة وليس في مواجهتِها، واحتضانِ طاقاتها وليس إقامةَ الحواجز حولها، وتمهيدِ مساراتِها وليس وضعَ العقبات أمامها، وتحفيزِ مشاركتِها بدلاً من الاستئثارِ بمواقعنا، وتزويدِها بدافعِ الانطلاقِ لا إلقاءِ العظاتِ الاستعلائية عليها. فباستطاعتِنا تحصينُ الشباب بشبكة أمانٍ وحمايةٍ عند الحاجة، والسيرُ معهم بخطىً ثابتةٍ نحو بناءِ مجتمعٍ ديمقراطيٍ متنور مبني على سيادة القانون ومنصفٍ لجميع مركبّاته، وللانخراط في متطلباتِ النهوضِ والتحرر والكرامة، وامتلاكُ قدرةِ التحفيز لقيادةِ عمليةِ الإنماءِ والبناءِ والانعتاق. إن فلسطينَ بحاجةٍ إلى روحِ الإبداع هذه والجرأةِ والاستكشاف التي يتحلى بها جيلكُم، ومن دونها تصبح أنظمتُنا ومجتمعاتُنا منغلقةً على نفسها مكررةً لذاتها، وطاردةً للإنبعاث والتجدد.

وبإرادة هذا الشعب وقوته الكامنة، نجحنا تاريخياً في تشكيل الفعلِ النقيضَ للاحتلال والقوةَ المضادةَ لعملياتِ التطهيرِ العرقي بما فيه الاستيطان وهدم المنازل والتشريد القسري والتهويدِ والإقصاء، وأثبتنا أننا منتفضون في وجهِ التجبّرِ والغطرسةِ والعنصرية، وحمَينا روايتنا وفرضنا وجودَنا كونياً على الوعي العالمي، وحافظنا على منظمةِ التحرير الفلسطينية التي تحتاجُنا اليوم وتحتاجُكم لاستنهاضها وتطويرها، ونحتاجها باعتبارها عنوانَ الاستمرارية والتمثيلِ الكامل وشبكةَ الأمان السياسية. فنحنُ مصممونَ على تجسيدِ الدولةِ لأننا نستحق ولأنها حق، نوصلُ فيها ماضينا بمستقبلنا، ونحيا فيها بحريةٍ وكرامة، ونمارسُ فيها حقَنا في السيادة وتقرير المصير، وستبقى القدسُ عاصمةَ فلسطين عصيةً على التشويهِ والتزوير، وسيبقى حقُ العودةِ مرساةَ الأمان لشعبٍ بأكمله ما زال نصفُه يعاني قسوة المنافي واللجوء حتى الآن.

لهذا الشعب لا يوجدُ مُنقذٌ واحد أو مُخلّصٌ منفرد، وإنما طاقاتٌ مجتمعةٌ تدرك حجمَ التحدي والمسؤولية، وتعملُ لبناءِ وطنٍ يرتقي إلى حجمِ التحدياتِ ويليقُ بحجم التضحياتِ (مثل هذا البنيان الذي بدأ متواضعاً وغدا عملاقاً).

أحبائي الخريجين،

تعلموا من أخطائِنا ولا تكرروها، وراكموا على إنجازاتِنا ولا تقوضوها، وامتلكوا إرادَتكم في جعل حركة الزمن حافزاً للتحليق نحو فضاءٍ رحبٍ تصنعونَ فيه التاريخَ لكم ولنا.

فهنيئاً لكم هذا الطموحُ والإنجاز، وهنيئاً لنا وللوطنِ وللإنسانيةِ هذا الوعد.